أزمة الهوية والانتماء الوطني (بحث انثروبولوجي بين جماعات الغجر في مدينة الديوانية)

أ.م.د.نعيم حسين كزار
جامعة بابل/ كلية الآداب

Identity Crisis and National Belonging
An Anthropological Study Among the Gypsy Communities
in the City of Diwaniyah

Assistant Prof.
Naeem Hussein Kazar
College of arts , Babel Lh iversity
Naeem20006@yahoo.com

المستخلص:

بعد اهتزاز شرعية الدولة الراحلة في مرحلة تعد هي الاعقد في تاريخ الدولة العراقية ، وفي ظل سلسلة من الازمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومن ثم انهيار وتشظي تام لكل مؤسساتها برزت مشكلة أزمة الهوية والانتماء الوطني في المجتمع العراقي بشكل عام وجماعات الغجر بشكل خاص في ظل مجتمع مأزوم لم يؤمن له حضور فاعل وواضح في دائرة القرار الحضاري والعلمي ، إضافة ال مخلفات هذه المشكلة في خلط الأدوار وجلد الذات وانعدام روح المبادأة والثقة بالنفس والدولة.

ABSTRACT

After the legitimacy of the former state was shaken in what is considered the most complex stage in the history of the Iraqi state, and amid a series of social, political, and economic crises, leading to the complete collapse and fragmentation of all its institutions, the problem of the crisis of identity and national belonging emerged in the Iraqi society in general, and the Gypsy communities in particular, within a troubled society that did not have an active and clear presence in the circle of cultural and scientific decision-making. Additionally, the remnants of this problem resulted in a confusion of roles, a loss of self-confidence, and a lack of initiative and trust in oneself and the state.

الكلمات المفتاحية: الازمة ، الهوية ، الانتماء الوطني ، جماعات الغجر.
Key-words: Crisis , Identity , National Belonging , Gybsy Groups

المقدمة

المنهجية العلمية للبحث

المبحث الأول: العناصر الأساسية للبحث

أولا: موضوع البحث

ثانيا: أهمية البحث

ثالثا: اهداف البحث

رابعا: الأهمية النظرية للبحث

المبحث الثاني: المفاهيم الأساسية للبحث

أولا: الازمة

ثانيا: الهوية

ثالثا: الانتماء الوطني

رابعا: الغجر

المبحث الثالث: الواقع التاريخي والاجتماعي لجماعة الغجر

المبحث الرابع: ازمة الهوية والانتماء الوطني عن الغجر

المبحث الخامس: نتائج البحث.

المقدمة:

يعتبر الغجر ووفقا لاتفاق علماء الانثروبولوجيا هم عبارة عن جماعات مشـــتتة وهي مغلقة ، ومنبوذة يعيشون في اطراف القرى والمدن لها ثقافة لغوية ينفرد بها ، لديهم شعور بالذاتية يحتفظون من خلالها بانتمائهم العرقية والزواج الداخلي ، يعترفون بهويتهم أحيانا ، ويتصـــفون بها أحيانا أخرى ويزعمون انتســـابهم لغيرهم[1] ونظرا الاختلاف ثقافتهم الفرعية عن ثقافة المجتمع يضـــطر

الغجر الى العزلة الاجتماعية(isolation) لقناعتهم ان المجتمع الذي يعيشـــون فيه لا يتوافق مع ثقافتهم . ويؤرخ (ارثرايفانز) للحرف التي مارسوها منذ قرون ويغيرون منها بما يتناسب مع أحوالهم الاقتصـــادية المتغيرة منها الغناء والرقص وضـــروب اللهو والتســـلية المتنقلة كالســـيرك ومن حرفهم المتاجرة في الخيول وممارسة بعض الحرف اليدوية. ويشتغل النساء بالعرافة وقراءة البخت[٢].

وســـبق وان كانت جماعات الغجر تســـكن في مدينة الديوانية[٣] قبل الاحتلال الأمريكي العراقي في عام ٢٠٠٣.

وتعد الجماعات الغجرية من الجماعات أو الشرائح الاجتماعية الساكنة والمستقرة في العراق. وقد مارســت هذه الجماعات شــتى أنواع الفنون الشــعبية والحرف الاقتصــادية المعروفة عند العراقيين ، وهي جماعات صـــعبة الاندماج اجتماعيا بين الفئات او الشـــرائح المجاورة لها لغياب عامل الالفة الاجتماعية لديها والغجر هي جماعات تعيش حالة من الدونية المزمنة لديها بســـبب عامل النبذ الذي تمارسه المجتمعات تجاها ، ويعرف كل العراقيين ان الغجر لا يعرفوا حياة الاستقرار وبالتالي دفعوا ضـــريبة الجهل والتخلف وعدم الاندماج الاجتماعي والانصـــهار بين الشـــرائح الاجتماعية العراقية.

عملت الحكومات العراقية المتعاقبة النظر الى هذه الجماعات بعين من العطف والإنســانية محاولة لرفع حالهم الاجتماعي والاقتصــادي من خلال الشــروع بمنحهم الهوية العراقية وشــمولهم بالتجنيد الالزامي الذي كان مفروضا على كل الشباب العراقي.

وقد قسم البحث الى خمسة مباحث تناول فيه المبحث الأول العناصر الأساسية للبحث كموضوع البحث وأهميته وأهدافه في حين تناول المبحث الثاني المفاهيم الأساسية للبحث والتي اشتملت على عدة مفاهيم كالأزمة ، الهوية ، الانتماء الوطني ، الغجر.

أما المبحث الثالث فقد أهتم بالواقع التاريخي والاجتماعي لجماعة الغجر. وتطرق المبحث الرابع الى موضـــوع البحث أزمة الهوية والانتماء الوطني عند جماعة الغجر ، وشـــكل المبحث الخامس مجموعة من النتائج التي توصل اليها البحث.

المنهجية العلمية للبحث

المبحث الأول: العناصر الأساسية للبحث

أولا: موضوع البحث

تنطلق مشـكلة البحث من قاعدة اجتماعية معقدة ، هذه القاعدة التي تعاني من جملة من الازمات أهمها على الاطلاق أزمة الانتماء الوطني والهوية كأنها حرب الجميع على الجميع بتوصـيف (هوبز) تبدو خارج إرادة العراقيين على الفهم وأيضا خارج إرادة الغجريون في العيش المشترك على أرض العراق بعيده عن شـبح الاغتراب الاجتماعي الذي يبدو قائلا لشـخصـية الفرد، فبعد مرحلة كانت غاية في التعقيد هي مرحلة أهتزاز شـرعية الدولة الراحلة في ظل سـبل من الازمات الاجتماعية و السـياسـية ومن ثم انهيار وتشـظي الدولة ، الامر الذي أدى الى نكوض الجماعات العراقية وفيها جماعات الغجر الى هويات وانتماءات تقليدية ان لم تقل الى غياب تام لبعض هذه الجماعات من قضـية الانتماء الوطني والهوية ، الامر الذي دعى الباحث للوقوف جليا أمام هذه المشـكلة التي من الضـروري دراسـتها بعمق وعرضـها للرأي العام محاولين قدر الإمكان معالجتها والتغلب عليها من الناحية الإنسانية على الأقل ولتلاقي انعكاساتها الخطيرة مستقبلاً.

ثانيا: أهمية البحث

يحاول هذا البحث أن يشـخص واقع مخرجات المجتمع العراقي المأزوم ويقصـد بالمجتمع المأزوم هو كل مجتمع مختلف يتبع خطوات وسبلا تقليدية في مواجهة الازمات ووضع الحلول اللازمة لها ، أو بتعبير أدق هو ذلك المجتمع الذي لا يؤمن له حضـور فاعل في دائرة القرار الحضـاري والعلمي الراهن ، وبالتالي فأن تواتر الازمة أي أزمة الانتماء الوطني والهوية سـوف ينعكس ذلك على الواقع العراقي بشـكل عام وواقع جماعات الغجر بشـكل خاص قد ينتج عن ذلك فردا تحكمه الظروف المعقدة مما ينتج جراء ذلك انعدام الفاعلية الاجتماعية والاندماج الاجتماعي.

تشـير كل الدلائل والمعطيات الى ان الجماعات الغجرية في العراق مازالت دون مسـتوى التغيرات التي يمر بها المجتمع لذا يتحتم على المهتمين بالشأن الانثروبولوجي والسوسيولوجي ان يقفوا على واقع وطبيعة النشـاط الإنسـاني الذي تقوم به هذه الجماعات الغجرية محاولين الكشـف عن أنماط علاقاتهم مع المجتمع العراقي.

ثالثا: أهداف البحث

١) محاولة الوقوف على ماهية هذه الجماعات وتاريخها الموغل في القدم.
٢) معرفة أنماط العلاقات الاجتماعية لهذه الجماعات والتي يسودها الانغلاق العزلة الاجتماعية.
٣) تسليط الضوء على أهم أزمة تعيشها الجماعات الغجرية في المجتمع العراقي كأزمة الهوية.
٤) الوقوف عن كثب على أزمة أخرى تعيشها هذه الجماعات والمتمثلة بأزمة الانتماء الوطني.

المبحث الثاني: أهم المفاهيم والمصطلحات

١. الأزمة:

عرف بولدنغ (Boulding) الازمة بأنها بمثابة نقطة تحول أوحد فاصل بين وضعين[٤].

ومن جهة أخرى يعرفها((جيمس روبنوسون)) بأنها موقف مهم يستخدم فيه لعنف أو يحتمل استخدامه[٥]. كذلك عرفها الدكتور أحمد زكي بدوي ((الازمة من الناحية الاجتماعية توقف الاحداث المنتظمة والمتوقعة واضطراب العادات والعرف مما يستلزم التغير السريع لا عادة التوازن وتكوين عادات جديدة اكثر ملائمة[٦].

٢. الهوية:

عرف سيار الجميل الهوية بأنها خصائص الشيء أو الشخص المطلقه سواء كانت متخيلة أم مجردة و المتضمنة للصفات الجوهرية التي تجعله متميزا عن غيره يكسبه خصوصية ويحدد الصورة التي يعبر عنها بنفسه[٧].

والهوية كلمة تتمحور دلالاتها حول الذات والحقيقة والماهية[٨].

وتعرف أحيانا بأنها مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي[٩]. وعرفت الهوية سوسيولوجيا بأنها: مفهوم لا تظهر الا في مجتمع تكون ادواره الاجتماعية في ادنى حدودها الممكنة ، مما يفسح المجال واسعا امام نمط جديد من العلاقات وفقا لمنظور الذات الاخر[١٠].

أن هوية الانسان الغجرية يرسمها ويحددها بشكلها وألوانها ما يرد اليه من خارجه ، وما تثمره علاقته بالأخرين ولهذا فأنها لابد ان تكون ولو في بعض صورها جزء من هوية مجتمعية أو تحمل على الأقل بعض ملامح هذا المجتمع الحاضر[١١].

٣. الانتماء:

يعرف الانتماء بأنه شعور فردي بالثقة يملىء النفس ، شعور بأن الانسان ليس وحيدا وليس ضعيفا ، ولا يسير منفردا في عالم يجهله ، بل هو يملك السند ، وأن الفرد جزءا من جماعة يمكن ان تدافع عنه ضد المجهول ، سواء كان هذه المجهول قوة معادية أو ظروفا قاهرة أو أي شيء آخر[١٢]. ويعرف أيضا بأنه انجذاب الفرد للاخرين بوصفه مصدرا للهوية الاجتماعية وللواقع الاجتماعي والاسناد الاجتماعي وللحصول على مواقع أو مكانة في الوطن[١٣]. وعرف كذلك بأنه انتساب الفرد لجماعة معينة قد تكون أسرة أو حزب أو مؤسسة عمل أو دولة بالقدر الذي يؤهله الى ان يكون عضوا فيها ويشعر في ضوئها بالامن والاستقرار ويحقق حاجاته الاجتماعية في علاقة مؤثر ومتأثر في الوقت نفسه[١٤].

٤. الغجر (Gypsies)

هم قوم جفاة منتشرون في جميع القارات ، يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ويعتمدون في معاشهم على التجارة ، أو عزف الموسيقى وقراءة البخت ، او الاحتيال والتسول او بعض الصناعيات الفنية ، ويطلق عليهم أيضا النور والحلب والزط و قرباط وطاربة[١٥]. يتفق معظم الباحثين على ان كلمة (الغجر) ليست عربية بل هي هندية الأصل ، وهناك لغة هندية تدعى ((الغوجراتية Gujarati)) وربما هذه الكلمة منحدرة من الأصل ، ويعرف الغجر أيضا بأسماء أخرى منها((جنكان)) و ((نور)) و((القرباط)) و ((الغجار)) والاسمان الشائعان لهما غجر ونور عندما نتحدث عن هذا الشعب ، أن التصور الذي يقفز الى اذهاننا ، وهو صحيح ، ان هذا الشعب يعيش في عامة الأحوال على هامش الحياة[١٦].

٥.أزمة الهوية:

أزمة الهوية كما عرفها المفكر الفرنسي(أليكس ميكشيللي) بأنها عبارة عن منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق عمليات التكامل المعرفي[١٧]. ومن عوامل ومسببات أزمة الهوية هي:

أ. عوامل تتعلق بالتكوين الماضي لشخصية الفرد مثل التنشئة الاجتماعية.

ب. عوامل تتعلق بنظرة الفرد للمستقبل.

ج. عوامل تتعلق بالحاضر كالقيم والمعايير الاجتماعية والأوضاع السائدة في الثقافة التي يعيش فيها ولدى الجماعات التي ينتمي اليها[١٨].

وعموما يبقى فشل الفرد في تشكيل هوية خاصه به ، وعدم قدرته في تحديد أهدافه المستقبليه من استكمال التعليم او الاختبار المهني أسبابا جوهرية في تولد أزمة الهوية والانتماء لدى العديد من الافراد والجماعات وخاصة جماعات الغجر.

المبحث الثالث: الواقع التاريخي والاجتماعي لجماعات الغجر

ظل اصل الغجر وتبددهم الاولي لغزا محيرا لمدة طويلة حتى على أولئك المهتمين بهذا الموضوع ، فمن الضروري اذا ان نبحث عن مصدر ذلك القضاء والقدر الذي أدى بهم الى هذا المصير وعلى هذا الأساس قام الباحثون بالرجوع الى قصص الاساطير التي تحكي عنهم[١٩]. ومن اهم هذه الاساطير العهد القديم ، وبلاد الشرق ، مهد هذا الشعب التائه. فما زال العهد القديم يعتبر منبعا لا ينضب للتفاسير المرنة لاي موضوع من مواضيع البحث والا ستقصاء ولم يتردد بعض الباحثين في اعتبار الغجر من سلالة قابيل الملعونة[٢٠]

ويفصل لنا سفر التكوين بصورة خاصة هذه اللعنة التي نزلت على أخ هابيل ، تلك اللعنة التي أدت الى ميلاد هذا الشعب البدوي الذي هام على وجه أمام رياح لايثنيها وقد بين لنا سفر التكوين أنواع المهن التي حكم على أبناء قابيل امتحانها ، ((واتخذ لأمك لنفسه امرأتين ، اسم الواحد عادة واسم الأخرى صلة. فولدت عادة يابال الذي كان أبا لساكني الخيام ورعاة المواشي. واسم أخية يوبال. الذي كان أبا لكل ضارب بالعود والمزمار . صله أيضا ولدت توبال قايين الضارب كل آله من نحاس وحديد[٢١]. ويشير القسم الثاني من هذه الاساطر الى ان أصل الغجر كان من تلك الأقطار التي اعتدنا ان نطلق عليها تعبير (الشرق) وأولها بلاد مصر ، ونحن نعلم ان الغجر أطلق عليها اسم المصريين. وقد نسب بعض الباحثين صفة الغجرية الى تلك الجموع الجائعة التي كانت تتبع جيوش شارلمان وعلى أيه حال فأن رؤساء أول جماعة غجرية من الغجر وطئت أقدامها البلاد الاوربية اطلقت على نفسها لقب ((أمراء مصر)). وعلى كل حال فقد ترك الغجر نصوص سفر التكوين جانبا واستندوا في أصلهم على نبوءة حزقيال القائلة ((سأشتت المصريين بين الأمم))[٢٢].

ورجح البعض الى ان أصول الغجر لأنهم فرع من الشعوب الهندية القديمة ورجح العالمان (باسباني ورالف تيرنر) ان جماعات الغجر هذه قد مكنت في سهول أفغانستان بعد مغادرتهم الهند قبل الفتح الإسلامي لتلك المنطقة[٢٣].

ان دراسة الجذور التاريخية لجماعات الغجر وتتبع أصولهم الاجتماعية يعد من الأمور العسيرة كون هذه الجماعات لا تمتلك ولم تخلف ورائها تاريخا مكتوبا يشير الى اصولهم وخلفياتهم الاجتماعية ، بل أغلب الآراء التي اعتمدها الباحثون انما هي اراء تخمينية تفتقر الى الموضوعية ، هناك من يشير الى ان الغجر قد وفدوا الى اوربا من مصر في حين يشير البعض الى ان موطنهم الأصلي هو الهند ، ومما يؤكد هذا الرأي ما كشفته الدراسات اللغوية لوجود رابطة بين لغة الغجر الرومي (Romany) واللغة القديمة (السنسكريتية). فمنذ الاربعينات من القرن العشرين ثبتت تحليلات لفصائل الدم ، أجريت لعينات من غجر اوربا ان مستوى ما بها من موروث (B) اكبر من المستويات الاوربية ، ويتضح من توزيعات (ABO) انها تعطي دعما قويا للغرض القائل بالاصل الهندي (موروثB) اكبر مرتين في شبه القاره من نظيره في اوربا ، ولو انه يتفاوت هناك من مكان الى اخر. ومع ان طبيعة كريات الدم الحمراء لا تختلف كثيرا عن قيم الاوربية الا انها تنسجم مع فكرة الأصل الهندي [٢٤]. وتعد جماعات الغجر احدى الشرائح الاجتماعية المهمشة التي يتألف منها المجتمع العراقي ، حيث اعتادت هذه الجماعات على حياة التنقل وممارسة فنون معينة تعد مصدر عيشها. فيلاحظ في اغلب الأحوال ان هذه الجماعات لم تندمج في المجتمعات التي تعيش فيها الا في حدود ضيقة لانها جماعات اقل الفة (less Familiar) ولا تتأثر في المجتمع الا في حدود ضيقة[٢٥].

((ويرجع ذلك الى عوامل تتعلق بطرق الحياة وأساليبها وقد نالت هذه الجماعات شيئا من الرفض الاجتماعي و(النبذ) من قبل الشرائح الاجتماعية المحيطة بهم حيث ينظر الناس بشيء من الغرابة والدهشة الى طبيعة أعمالهم اليومية والتي تتوائم هذه الاعمال مع ثقافاتهم الفرعية)). ولغتهم التي يتحدثون بها ذات مصطلحات متداولة بينهم حصرا وقيم وعادت توارثوها من اسلافهم الذين يسمون بالكاولية ، صار لهؤلاء الغجريون حضور في الذاكرة العراقية وفي تراث المجتمع العراقي على مستوى الحكايات الشعبية ان هذا الحضور في الذاكرة يتلازم دوما مع قدر يوازيه به من الغموض الشيء الكثير وتعود أسبابه الينا كمجتمع عراقي أصيل واليهم في حين آخر ، ونتيجة للحراك الاجتماعي المرن الذي عاشته شعوب المنطقة العربية والعراق انموذجا لهذا الحراك كان يقضي أحيانا الى حجب الصفة الغجرية عنهم أو عن البعض.

((وكانت جماعات الغجر في العراق تعيش حياة تنقل شأنهم شأن الغجر في سائر أنحاء العالم ، ولكن بعد عام ١٩٧٠ تركوا حياة الرحال واستقروا في اطراف المدن العراقية ، فحسب أحصاء عام ١٩٧٧ اذا كان عدد الغجر في العراق(٨٥٢٣) نسمة يعيش معظم هؤلاء ضمن ثلاث محافظات (بغداد ، البصرة ، القادسية)

وفيما يلي خارطة العراق موضحا فيها موقع مدينة الديوانية إضافة الى جدولا يوضح توزيع الغجر على محافظات العراق حسب إحصاء عام ١٩٧٧.

شكل رقم (١)

جدول رقم(١) يوضح توزيع الغجر على محافظات العراق والنسبة المئوية[٢٦]

المحافظة	المنطقة او المقاطعة	المجموع	%
بغداد	بغداد الجديدة محلة (٧٥٧٨)	٤٢٠٧	٤٩,٤
البصرة	الزبير مقاطعة(٥)	٩٨٥	٢٣,٣
القادسية	ناحية الشافعة/مقاطعة(٢٢)	١٩٥	١٤
نينوى	ناحية الحميمات/مقاطعة(١٨)	٩١	٤,٦
ذي قار	ناحية السيدناوية/مقاطعة(٤٧)	٢٧٢	٣,٢
ديالى	كنعان	٢٣٨	٢,٧
المثنى	مركز قضاء المثنى/مقاطعة(١٦)	١٧٦	٢,١
دهوك	ناحية زاويته/قرية بوشكي	٥٩	٧
المجموع		٨٥٩٣	١٠٠

أما مجموع الغجر في الديوانية حسب أحصاء ١٩٩٧ فكان(١٢٦٣) نسمة موزعين على (١٥٤) وحدة سكانية ، اذا بلغ عدد الذكور (٥٧٣) ، وعدد الاناث (٦٩٠) نسمة من مجموع من مجموع اعداد الغجر في المحافظة[٢٧]. إضافة الى أماكن أخرى يتواجد فيها الغجريون (الكاولية) في مجتمعات الغجر في ناحية تازة في محافظة كركوك وهي مجتمعات أنشأت في مرحلة الثمانينات القرن الماضي ومنطقة غجر أبو غريب ضمن حزام العاصمة بغداد في الجهة الغربية للعاصمة وقد استوطنوا هذه المنطقة في عقد السبعينات ، ومنطقة الغجر في الكمالية في الضواحي الشرقية للعاصمة بغداد ، ومنطقة الغجر في الشوملي قرب ناحية الشوملي من محافظة بابل وسكن هولاء المنطقة في ثمانينات القرن العشرين ، إضافة الى تواجد بعض الاسر في مدينة البصرة وهي غير مشخصة من قبل الدولة او العامة من الناس أحيانا وبتردد على هذه البيوتات بعض الزبائن[٢٨]

وحقيقة ينظر الكثير من افراد المجتمع العراقي الى الغجر على انهم أناس غامضون يتصورهم البعض انهم يمثلون صورة رومانسية للحرية وحياة متعطشة للحب والتحرر بل ويعتبرهم انهم من

اكثر الشرائح البشرية تشردا وتماشيا وعلاوة على كل هذا يؤشر عليهم البعض عن انهم فاقدي لكل مفاهيم الانتماء والولاء والإخلاص لاي وطن يعيشون فيه))[٢٩] ويعتبر العنصر الثقافي من العناصر المعوقة لتكامل جماعات الغجر اجتماعا داخل المجتمع الكبير ، لان ممارسة المرأة للادوار الترفيهية مثل (الغناء ، الرقص ، الجنس) يعمق نظرة (النبذ)و(الازدراء) من قبل أبناء المجتمع لهم وكما تعيد أبناء المجتمع العراقي ذلك خروجا وانحرافا عن القيم والمعايير الاجتماعية والأخلاقية التي يؤمن بها افراده ، كما ان مظاهر الزواج عندهم أي عند الغجريون لا تختلف عما هو سائد عند العوائل العراقية ولكن مع ذلك فأن الأوضاع الخاصة التي يعيشوها قد افرزت بعض اشكال وانماط لزواج معين. كما ان اعتماد الاسرة الغجرية على الرقص والغناء وما شاكل ذلك أدى سبب تفاوت اجتماعي في موضوع المنزلة الاجتماعي بل أدى الى مفاضلة اجتماعية
(Social different ration) بين الافراد والجماعات الامر الذي ينسحب على التميز بين الحقوق والواجبات ينتج عن ذلك اختلاف أسلوب التعامل والمعاملة مع الاسرة الغجرية.

المبحث الرابع: أزمة الهوية والانتماء الوطني عن الغجر

((أن واقع أزمة الهوية والانتماء الوطني عند جماعات الغجر في العراق انما يعود لاسباب عديدة يقع في مقدمتها الطبيعة الانعزالية لهذه الجماعات ونبذها من قبل الجماعات والشرائح الاجتماعية المجاورة لها بسبب ثقافتها الفرعية أولا بل يعد سببا رئيسيا لهذه الازمة المزدوجة هوية وانتماء والسبب الأخير يعود الى شخصية الدولة وعدم احترامها للثقافات الفرعية من خلال فرض ثقافات وأيديولوجات خاصة مما يعطي مجالا للهوية الوطنية للسحق وطمس الثقافات والهويات الأخرى على حساب الولاء والانتماء الوطني[٣٠]. لذا يمكن عد أزمة الهوية والانتماء الوطني واحدة من مفترقات الطرق الحرجة في حياة الفرد على الفرد ان يواجه هذه الازمة بتنمية هوية تتيح له الاستقلالية وتمكينة من المبادأة وأداء المهام المتوقعة والوعي بالإمكانات[٣١]. وربما تعمل هذه الجماعات الغجرية بنشر الانحرافات السلوكية حين تسحق لديهم الهوية السلبية والانتماء المبني على الوهم ، ويتعمق الامر الى أن تضرب كل القيم والأنظمة الاجتماعية و القوانين السائدة ، لعدم تشكيل تلك الهوية الشخصية او الاجتماعية ، ان لوم الذات وجلدها والمبالغة في ردود الفعل السلوكية والتقليل في شأن الذات ومشاعر النقص واستدماج الجوانب السلبية تتفاعل لدى الفرد الغجري. المشكلة التي لا يمكن نكرانها هو ان الحكومات العراقية المتعاقبة منذ تأسيس الدولة

العراقية عام ١٩٢١م ولحد هذا الوقت لم تدرك واقع التنوع الاجتماعي في العراق وان عملية عدم ادارته بما يدعم الاســـتقرار المجتمعي الذي يوظف مفاهيم الهوية والانتماء الوطن والتي بإمكان اختزالها بمفهوم الموطنة كافي لضمان الاستقرار، وبالتالي فان اهمال وعدم الاكتراث بتلك الازمات سوف يعمق المشكلة بنيويا وهو اخطر ما يكون على اللحمة الاجتماعية العراقية. ان عدم الاهتمام بإدارة التنوع في العراق ســوف يدفع بأتجاه الثقافات الفرعية كالطائفية والعرقية واللتين تعملان على بعث الوعي الذاتي الفردي الجمعي الخاص بجماعة محددة الذي يأخذ مســاره نحو التفكيك كونهما مفهومين مضـــادين لتاريخ وحدة المجتمع العراقي مما يجعلهما شــكلا من اشــكال البنية التقليدية المغلقة. ان التجاهل الذي وسم السياسة الاجتماعية العراقية والثقافية منذ بداية تشكيل الدولة عمل على تجاهل الاعتراف بمفهوم الثقافة الفرعية للجماعات الغجرية وبالتالي شـكل بداية لصـراع على مستوى المفهوم القيمي مما يعزز عملية طمس وسلب الشعور بالانتماء الوطني للفرد الغجري وهنا تكتمل عملية الاقصاء والتهميش وخلق الاغتراب بين جماعات الغجر والجماعات المحيطة بهم.

أهم النتائج التي توصل اليها البحث:

١. كان للصـــراعات الداخلية والخارجية التي مر بها المجتمع العراقي دورا كبيرا في صـــناعة ازمة الهوية والانتماء.

٢. يعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ســـببا رئيســـيا في خلق معظم أزمات العراق ومن ضمنها أزمة الهوية والانتماء.

٣. للتعددية الدينية والثقافية ومفاهيم الديمقراطية أثرا كبيرا في تفشـــي هذه الازمة الهوياتيه الانتمائية.

٤. شكلت الصراعات السياسية وهيمنة الأحزاب على السلطة والمال دورا كبيرا في تهميش جماعات الغجر وازاحتهم.

٥. دعم بعض الكتل الســياســية التي تغلب الثقافة الشــاملة على بعض الثقافات الفرعية ومحاربة الاخر الشريك وتهميشه.

٦. مازال الغجر يعانون ويفتقرون الى الوثائق التاريخية الدامغة الى تثبيت موطنهم الأصلي ، وان معظم الآراء المتداولة هي خاضعة للتخمين. افتقرت الى الدقة الموضوعية وهذا ما أشار اليه(كليبر) في دراسته التاريخية والاجتماعية والفلوكلورية للغجر.

٧. هناك رفض شعبي واضح من المجتمع الكبير الى الغجر بسبب طبيعة عملهم الذي يتنافى ويتقاطع مع ثقافة واخلاق المجتمع العراقي.

٨. تدنى المستوى التعليمي والثقافي لجماعات الغجر.

٩. استطاعت الجماعات الغجرية بحكم الظروف القاسية وبالقدر المستطاع من التكيف مع الواقع لضمان عيشها واستقرارها.

المصادر

- أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٩١.
- ادريس لكريتي، إدارة الازمات الدولية في عالم متحول ، (مقاربة للنموذج الأمريكي في المنطقة العربية) ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٨٧ ،السنة الخامسة والعشرون ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٠.
- أرثرايفنز: الغجر أقلية على مقترف الطرق ، مقال منشور ، مجلة اليونسكو ، ١٩٧٥ ، ص٥
- أشراف صالح محمد ، علا الطوفي إسماعيل ، الغجر المهمشون في المجتمعات العربية : التاريخ والهوية كلية الاداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن رشد ، هولندا ، مجلة تافزة للدراسة التاريخية والاثرية ، العدد١ ، ٢٠٢١ ، ص١٣
- أشرف سيد أبو السعود ، مشكلة الانتماء والولاء ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص٤٧.
- أمين معلوف ، الهويات القاتلة ، ترجمة نهلة بيضون ، دار الفارابي للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص١٧.
- بشرى عناد مبارك ، الانتماء الاجتماعي لدى العاملين في بعض مؤسسات الدولة وعلاقته ببعض المتغيرات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم علم النفس ، ١٩٩٦ ، ص٩.
- تقي أزاد ارمكي ، العولمة واثرها على الهوية والثقافة الإيرانية ، ترجمة علي طاهر الحمود ، بيت الحكمة – بغداد ، ٢٠١٢ ، ص١٣٨
- جان– بول كليبر ، الغجر ، دراسة تاريخية اجتماعية فولكورية ، المصدر نفسه ص١٧
- جان– بول كليبر ، الغجر ، دراسة تاريخية اجتماعية فولكورية ، ترجمة لطفي الخوري ، وزارة الثقافة والاعلام دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط٢ ، ١٩٨٦، ص١٧
- جان– بول كليبر ، الغجر ، مصدر سابق ، ص٢٢ ، ص٢٣.
- حسن عبد الرزاق منصور ، الانتماء والا غتراب ، دراسة تحليلية ، دار جرش للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٩ ، ص١٩.
- حميد الهاشمي ، شتات الغجر ، المصدر نفسه ، ص١١٥
- حميد الهاشمي ،شتات الغجر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥. ص
- سارة إبراهيم محمد عبد المقصور ، دراسة تأثير البيئة الاجتماعية على الزي الشعبي للغجر والاسفاده منه في استحداث تصميمات أزياء معاصرة ، رسالة ماجستير– كلية الفنون التطبيقية جامعة دمياط. ٢٠١٤ ، ص١٨.
- سفر التكوين ، الاصحاح الرابع ، العدد ١٩ ،٢٢.
- سيار الجميل ، الهوية الوطنية العراقية : المعنى والتديات والمستقبل ، مجلة مسارات ، العدد/١ ، ٢٠٠٧ ، ص٣٤–ص٣٥.
- السيد حنفي عوض ، في علم الانسان ، دراسات وبحوث في ثقافة الشعوب والمجتمعات ، المكتب الجامعي الحديث ، ٢٠١٠ ، ص٤٣١.

- سير أنجوس فريزر ، الغجر ، ترجمة عباده كحيلة ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ٢٠٠١ ، ص٤١
- شارلوت سيمور سمث ، موسوعة علم الانسان: المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية ، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع ، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص٥٢٩.
- طالب عبد الرضا كيطان ، شتات الغجر ، دراسة ميدانية حول أصول التعايش واضطراب الهوية ، مجلة اداب الكوفة ، العدد/٥١ ج٢ ، ٢٠٢٢ ، ص٤٦١.
- عدنان ياسين مصطفى ، السلوك المنحرف في ظروف الازمات ، بحث منشور في ندوة السلوك المنحرف واليات الرد المجتمعي سلسلة المائدة الحرة ، العدد ٣١ بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٩٩ ، ص١٠٢.
- كريم عبد ، الدولة المأزومة والعنف الثقافي : عراق مابعد الحقبة الثورية وأسئلة المستقبل ، الفرات للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص٣٧.
- محمد عابد الجابري ، الموسوعة الفلسفية العربية– بيروت ، معهد الانتماء العربي ،مج٢ ، ١٩٨٦ ، ص٨٢١.
- المعلومات والبيانات نقلا عن الجهاز المركزي للإحصاء وتكنلوجيا المعلومات ، مديرية إحصاء الديوانية.
- مهند كامل محمود العيساوي ، أزمة الهوية وعلاقتها بمفهوم الذات لدى المراهقين في المدارس ، جامعة القدس المفتوحة ، ٢٠٢١ ، ص١٢.
- مهند كامل محمود العيساوي ، المصدر نفسه. ص١٣
- النتائج الأولية لتعداد ١٩٧٧ نقلا ن الدكتور هادي نعمان الهيثي ومحمد أمين الحلفي ، مصدر سابق ، ص٣٢.
- هادي نعمان الهيتي ، د٠محمد أمين الحلفي إ، الأحوال الاجتماعية لجماعة الغجر في الحي الجديد في ابي غريب ، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣٢.
- هاني الجزار ، أزمة الهوية والتعصب ، دراسة في سايكولوجيه الشباب ، هلا للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ٢٠٠١ ، ص ٤٨.

References

- **Ahmad Zaki Badawi, Dictionary of Social Science Terms, Lebanon Library, Beirut, 1986, p.91.**
- **Idriss Lakrity, Managing International Crises in a Changing World (An Approach to the American Model in the Arab Region), Arab Future Journal, No. 287, Twenty-fifth Year, Beirut, Arab Unity Studies Center, 2003, p. 30.**
- **Arthur Raevens: Gypsies, a minority on the verge of roads, published article, UNESCO Journal, 1975, p.5**
- **Supervision of Salih Muhammad, Alaa Al-Toufi Ismail, Marginalized Gypsies in Arab Societies: History and Identity, Faculty of Arts and Humanities, Ibn Rushd University, Holland, Tafazza Journal for Historical and Archaeological Studies, No. 1, 2021, p.13**
- **Ashraf Sayed Abul-Suoud, The Problem of Belonging and Loyalty, Library of Religious Culture, Cairo, 2004, p.47.**
- **Amin Maalouf, Deadly Identities, translated by Nahlah Baydoun, Al-Farabi House for Printing and Publishing, Beirut, 2004, p.17.**
- **Boshra Enad Mubarak, Social affiliation among employees in some state institutions and its relationship to some variables, unpublished master's thesis, University of Baghdad, College of Arts, Department of Psychology, 1996, p.9.**
- **Taqi Azad Armaki, Globalization and its impact on Iranian identity and culture, translated by Ali Taher Al-Hamoud, Bayt Al-Hikma - Baghdad, 2012, p.138**
- **Jean-Paul Kleiber, Gypsies, A Historical, Social, Folkloric Study, the same source p.17**
- **Jean-Paul Kleiber, Gypsies, A Historical, Social, Folkloric Study, translated by Lutfi Al-Khouri, Ministry of Culture and Information, General Cultural Affairs House Baghdad 2nd floor, 1986, p.17**
- **Jean-Paul Kleiber, Gypsies, previous source, p. 22, p. 23.**
- **Hassan Abdel Razzaq Mansour, Affiliation and Alienation, An Analytical Study, Dar Jerash for Publishing and Distribution, Saudi Arabia, 1989, p.19.**

- **Hamid Al-Hashimi, The Gypsy Diaspora, the same source, p.115**
- **Hamid Al-Hashimi, The Scattering of Gypsies, unpublished master's thesis, College of Arts, University of Baghdad, 1995. p**
- **Sarah Ibrahim Muhammad Abdel-Maqsoud, A study of the effect of the social environment on the folk dress of Gypsies and making use of it in developing contemporary fashion designs, Master's thesis - Faculty of Applied Arts, Damietta University. 2014, p.18.**
- **Book of Genesis, Chapter Four, Verse 19, 22.**
- **Sayar Al-Jameel, The Iraqi National Identity: Meaning, Challenges and Future, Massarat Magazine, No. 1, 2007, pp. 34-35.**
- **Mr. Hanafi Awad, In the Science of Man, Studies and Research in the Culture of Peoples and Societies, The Modern University Office, 2010, p. 431.**
- **Sir Angus Fraser, Gypsies, translated by Ebadah Kaheelah, National Translation Project, Supreme Council for Culture, Egypt, 2001, p. 41**
- **Charlotte Seymour-Smith, Encyclopedia of Anthropology: Anthropological Concepts and Terminology, translated by a group of professors of sociology, Supreme Council for Culture - Cairo, 1998, p. 529.**
- **Taleb Abdul Redha Al-Kaytan, Scattering of Gypsies, A Field Study on the Origins of Coexistence and Identity Disorder, Adab Al-Kufa Journal, No. 51 V2, 2022, p. 461.**
- **Adnan Yassin Mustafa, Deviant Behavior in Crisis Conditions, published research in the Deviant Behavior and Community Response Mechanisms seminar series The Open Table, No. 31 Baghdad, Bayt Al-Hikmah, 1999, p.102.**
- **Karim Abd, The Country in Crisis and Cultural Violence: Post-Revolutionary Iraq and Questions of the Future, Furat Publishing and Distribution, Beirut, 2002, p.37.**
- **Muhammad Abed Al-Jabri, Arab Philosophical Encyclopedia- Beirut, Institute of Arab Affiliation, Vol. 2, 1986, p. 821.**
- **Information and data quoted from the Central Bureau of Statistics and Information Technology, Diwaniyah Statistics Directorate.**
- **Muhanad Kamel Mahmoud Al-Issawi, The Crisis of Identity and its Relationship to the Self-Concept Among Adolescents in Schools, Al-Quds Open University, 2021, p.12.**
- **Muhanad Kamel Mahmoud Al-Issawi, the same source. p. 13**
- **Preliminary results of the 1977 census quoted by Dr. Hadi Numan Al-Haithy and Muhammad Amin Al-Hilfi, previous source, p.32.**
- **Hadi Numan Al-Haithi, Dr. Muhammad Amin Al-Hilfi, The Social Conditions of the Gypsy Community in the New Neighborhood in Abu Ghraib, Ministry of Labor and Social Affairs, National Center for Social and Criminal Research, Baghdad, 1985, p.32.**
- **Hani Al-Jazzar, The Crisis of Identity and Fanaticism, A Study in the Psychology of Youth, Hila for Publishing and Distribution, Algeria, 2001, p. 48**

الهوامش

[١] السيد حنفي عوض ، في علم الانسان ، دراسات وبحوث في ثقافة الشعوب والمجتمعات ، المكتب الجامعي الحديث ، ٢٠١٠ ، ص٤٣١.

[٢] أرثرايفنز: الغجر أقلية على مقترف الطرق ، مقال منشور ، مجلة اليونسكو ، ١٩٧٥ ، ص٥

[٣] الديوانية هي احد محافظات الفرات الأوسط ، التي يضمها سهل الفرات الفيضي الرسوبي ، حدودها الإدارية ، يحدها من الشمال محافظة بابل وواسط ، ومن الشرق محافظتي ذي قار وواسط ، ومن الجنوب محافظة المثنى ومن الغرب محافظة النجف. وقد مرت المحافظة بعد عام ١٨٣٤ الذي يمثل نقطة انطلاق التنظيم الإداري في العراق الذي أرست دعائمه الحكومية العثمانية بسلسلة مستمرة من التغيرات والتعديلات الإدارية ، ففي عام ١٨٥٨ كانت تمثل قضاء إداريا يعرف بقضاء الديوانية وهو احد التشكيلات التي كانت تابعة للواء الحلة الذي يتبع بدورة ولاية بغداد. وفي عام ١٨٩٠ رفعت مرتبتها الإدارية الى مرتبة لواء صار يعرف بلواء الديوانية. وبعد صدور قانون المحافظات رقم (١٥٩) لسنة ١٩٦٩ وبموجبة قسم العراق الى ستة عشر وحدة إدارية

رئيسية ، اطلق على كل منها اسم محافظة بدلا من لواء بعد اجرا بعض التعديلات على حدودها ، فأصبح لواء الديوانية يعرف باسم محافظة الديوانية. للمزيد ينظر د. طالب عبد الرضا كيطان ، سوسيولوجيا المشكلات رؤى نظرية ودراسات واقعية ، ج٢ ، مطبعة صفر واحد للطباعة والنشر ، ٢٠١٧ ، ص١٥٥ ، ص١٥٦.

[٤] ادريس لكريتي، إدارة الازمات الدولية في عالم متحول ، (مقاربة للنموذج الأمريكي في المنطقة العربية) ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٨٧ ، السنة الخامسة والعشرون ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٠.

[٥] عدنان ياسين مصطفى ، السلوك المنحرف في ظروف الازمات ، بحث منشور في ندوة السلوك المنحرف واليات الرد المجتمعي سلسلة المائدة الحرة ، العدد ٣١ بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٩٩ ، ص١٠٢.

[٦] أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٩١.

[٧] سيار الجميل ، الهوية الوطنية العراقية : المعنى والتديات والمستقبل ، مجلة مسارات ، العدد/١ ، ٢٠٠٧ ، ص٣٤–ص٣٥.

[٨] محمد عابد الجابري ، الموسوعة الفلسفية العربية– بيروت ، معهد الانتماء العربي ،مج٢ ، ١٩٨٦ ، ص٨٢١.

[٩] أمين معلوف ، الهويات القاتلة ، ترجمة نهلة بيضون ، دار الفارابي للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص١٧.

[١٠] تقي أزاد ارمكي ، العولمة واثرها على الهوية والثقافة الإيرانية ، ترجمة علي طاهر الحمود ، بيت الحكمة – بغداد ، ٢٠١٢ ، ص١٣٨

[١١] أشراف صالح محمد ، علا الطوفي إسماعيل ، الغجر المهمشون في المجتمعات العربية : التاريخ والهوية كلية الاداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن رشد ، هولندا ، مجلة تافزة للدراسة التاريخية والاثرية ، العدد١ ، ٢٠٢١ ، ص١٣

[١٢] حسن عبد الرزاق منصور ، الانتماء والا غتراب ، دراسة تحليلية ، دار جرش للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٩ ، ص١٩.

[١٣] بشرى عناد مبارك ، الانتماء الاجتماعي لدى العاملين في بعض مؤسسات الدولة وعلاقته ببعض المتغيرات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم علم النفس ، ١٩٩٦ ، ص٩.

[١٤] أشرف سيد أبو السعود ، مشكلة الانتماء والولاء ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص٤٧.

[١٥] سارة إبراهيم محمد عبد المقصور ، دراسة تأثير البيئة الاجتماعية على الزي الشعبي للغجر والاسفاده منه في استحداث تصميمات أزياء معاصرة ، رسالة ماجستير– كلية الفنون التطبيقية جامعة دمياط. ٢٠١٤ ، ص١٨.

[١٦] شارلوت سيمور سمث ، موسوعة علم الانسان: المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية ، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع ، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص٥٢٩.

[١٧] مهند كامل محمود العيساوي ، أزمة الهوية وعلاقتها بمفهوم الذات لدى المراهقين في المدارس ، جامعة القدس المفتوحة ، ٢٠٢١ ، ص١٢.

[١٨] مهند كامل محمود العيساوي ، المصدر نفسه. ص١٣

[١٩] جان– بول كليبر ، الغجر ، دراسة تاريخية اجتماعية فولكورية ، ترجمة لطفي الخوري ، وزارة الثقافة والاعلام دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط٢ ، ١٩٨٦، ص١٧

[٢٠] جان– بول كليبر ، الغجر ، دراسة تاريخية اجتماعية فولكورية ، المصدر نفسه ص١٧

[٢١] سفر التكوين ، الاصحاح الرابع ، العدد ١٩ ،٢٢.

[٢٢] جان– بول كليبر ، الغجر ، مصدر سابق ، ص٢٢ ، ص٢٣.

[٢٣] هادي نعمان الهيتي ، د٠محمد أمين الحلفي]، الأحوال الاجتماعية لجماعة الغجر في الحي الجديد في ابي غريب ، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣٢.

[٢٤] سير أنجوس فريزر ، الغجر ، ترجمة عباده كحيلة ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ٢٠٠١ ، ص٤١

[٢٥] طالب عبد الرضا كيطان ، شتات الغجر ، دراسة ميدانية حول أصول التعايش واضطراب الهوية ، مجلة اداب الكوفة ، العدد/٥١ ج٢ ، ٢٠٢٢ ، ص٤٦١.

[٢٦] النتائج الأولية لتعداد ١٩٧٧ نقلا ن الدكتور هادي نعمان الهيثي ومحمد أمين الحلفي ، مصدر سابق ، ص٣٢.

[٢٧] المعلومات والبيانات نقلا عن الجهاز المركزي للإحصاء وتكنلوجيا المعلومات ، مديرية إحصاء الديوانية.

[٢٨] حميد الهاشمي ،شتات الغجر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥. ص

[٢٩] حميد الهاشمي ، شتات الغجر ، المصدر نفسه ، ص١١٥

[٣٠] كريم عبد ، الدولة المأزومة والعنف الثقافي : عراق مابعد الحقبة الثورية وأسئلة المستقبل ، الفرات للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص٣٧.

[٣١] هاني الجزار ، أزمة الهوية والتعصب ، دراسة في سايكولوجيه الشباب ، هلا للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ٢٠٠١ ، ص ٤٨.